

من أصالة الجذور إلى جذور الأصالة:

نظرية النحت الأكبر*

أ. د. أمين عبد الكريم باربو

لقد عزمت مؤخرًا أن أنشر ما توصلت إليه أبحاثي في هذا المضمار واخترت ندوة تونس لتقديم نظرة موجزة لنظريتي، تختزل مشوار أربعين عاما وأكثر من الدرس والتقييب. ليست نتيجة مجادلة سلبية للآراء السائدة في أسس الرصيد اللغوي، ولكنها تحاول أن تكشف النقاب عن بناء الدلالية العميقة، فأفضت بي إلى إظهار شبكة منتظمة من علاقات سيميائية متداخلة، لا مثيل لنظامها ولا لتعقيدها في سائر اللغات التي تعلّمتها، وما اكتشفته بعون الله من ثروة هائلة من المقدورات الدلالية الذاتية التي تجعل جواهر لغة الضاد قابلة بل صالحة للبقاء وللتجدّد معا خلال أطوار العصور والأحقاب.

*أستاذ بجامعة الجزائر في الستينات قبل أن يتحول إلى فرنسا حيث عين أستاذ بجامعة باريس ودخل في الإسلام وبذلك تحول اسمه من ميشال باربو إلى أمين عبد الكريم باربو.

إذا اسمحوا وأقدم هنا ثمارا. يانعة حان قطافها أطلقت عليها اسم نظرية النحت الأكبر، تلميحا إلى الاشتقاق الأكبر الذي أدلى به ابن جني في خصائصه قبل ألف سنة خلت، والذي لا يزال معاصرونا يرجعون إليه ذكرا ونقداً، إيجابا أو استنكارا.

وقد استنتجت نظريتي من الحقائق الملموسة بعد طول تحليلها وفكّ عناصرها وكشف علاقاتها التزامنية المتبادلة، وللنظرية ثلاثة مقاصد:

- (أ) - اكتشاف التشاكلات اللغوية على الصعيدين اللفظي والدلالي.
- (ب) - استطلاع الروابط الصميّة بين تلك الشبكة السيميائية، وبين شبكة المفاهيم الخاصّة بالعرب القدماء
- (ج) - التماس تطوّر القيم الدلالية عند التنزيل وبعده، باستثمار المقدورات المتوفّرة في لغة الأُمَّة (كما تدلّ عليه كلمة الصراط. انظروا مقالتيّن لي صادرتين في فاس (مجلة كلّية الشريعة - القرويين، 25، 1995) وفي منشورات جامعة طهران، قيد الطبع).

(ح) كان الرأي السائد يقول بوجود كلمات أصول في الجذور الثلاثية، وزيادة حروف إلى الجذور الثلاثية للحصول على كثير من الجذور الرباعية، ونحت كلمتين ا، أكثر في بعض الرباعي. يرتكز قصدي اليوم على النقاط التالية:

- (أ) - إنّ مفهوم الأصالة (أي إرجاع معاني الكلمات إلى أصل واحد أو أكثر ضمن جدول جذري معيّن) استنباط سطحي بل باطل في أغلب الأحوال، نظرا لمقتضيات علوم الدلالة الحديثة، وخاصّة للتشابه الشديد والعميق لمركّبات الألفاظ العربيّة.

ب) إقتصار مجال الحروف الزائدة على بعض الأمثلة النادرة من الرباعي، كمثّل (زرقم) أو (تعظلم)، باستثناء (حلکم) رغما عن القيل والقال كما سنرى فيما بعد، وبطبيعة الحال، لا أعني هنا المدلول الآخر لكلمة الزيادة، أي إضافة المورفيمات التي لا غبار عليها. في هذا الصدد، توجد معنيين فنيين متباينين لكلمة الزيادة يُحدث التباسا مؤسفا، فيُبهَم التحليل والتفكير.

ج) - اتّسع مجال النحت الطبيعي الأصل - نعم - في تكوين الألفاظ، استنادا إلى تكاثر علاقاتها البنيوية مع باقي الألفاظ. وذلك فضلا عن النحت الاصطناعي في المصطلحات المعروفة كمثّل (برمائي) و (بسمَل) و (حمل) و (حوقل) في الماضي، أو (حلكب) و (جوقل) الخ في عصرنا هذا. وإنّ النحت الأكبر ليس اقتراحا جديدا لخلق الاصطلاحات الفنيّة المطلوبة، ولكنه اعتراف بطبيعة بناء الكلمات الأصلية، واستطلاع نظري وعملي معاً لارتباطاتها الصميّة، والنقاط مقدوراتها الدلاليّة الكامنة.

1. ليس هناك برهان قاطع على هوية الكلمة الأصل ولا معيار علمي متفق عليه لانتقائها من وسط الكلمات التي يربطها جذر ما في المعجم. فيجدر بنا التساؤل عن سلامة الاستدلالات التي أدّت إلى اختيار هذا الأصل أو ذاك. إنّه يعتمد في الظاهر على القرابة الدلالية المعجميّة المتداولة، وعلى مفهوم الاشتقاق الصرفي، زيادة عن التمييز التقليدي السائد بين الأصول والفروع، قد ألحّ العلماء المحدثون كمثّل د. تمام حسن في مصر على الخلط الشائع بين المعنيين الوظيفي والمعجمي، بين المستويين الصرفي والدلالي. فإذا لثلاً نحسب أصلا ما هو مفرد من شتّى

المفردات المتواجدة حول جذر معيّن، بل حول الجذور المتواصلة بالبدال والمدلول أثبتت لي جميع الأمثلة أنّ تسلسل القيم الدلالية ليس عموديا فقط- مثل مواد أو مداخل القواميس، المرتبة حسب تناسب الصيغ الصرفية. إنّما هذا التسلسل المهمّ- فضلا عن دور المورفيمات في تكوين المعنى الوظيفي- ينبثق من تقاسم الدلالة بين بعض ألفاظ الجدول الجذري ومدلولات عدّة ألفاظ منتمة إلى جذور أخرى. في أغلب الأحوال، لا يستوعب فحوى الكلمة الأصل كافّة مدلولات الجدول الجذري بل أحيانا مدلولات لفظة من ألفاظها. لا الأصل ولا مفهوم الجذر أيضا يجيب جوابا صحيحا لمعضلة جوهرية، ألا وهي تعدّد المعاني، لأنّ اختيار كلمة أصل يتضمّن اتّخاذ بؤرة وحيدة لتفاعل الدلالات، أي تقاطع المدلولات المعروفة، وبالتالي صرف النظر عن القيم التكاملية لهذا التقاطع.

2. إنّما هنا خطأ منطقي واضح، لا ينتبه إليه أحد-للأسف - بل يرتكبه اللغويون القدماء ومثلهم المحدثون، سواء كانوا عربا أم مستشرقين، كلّما اتّخذوا كلمة أصلا لجذر معيّن على أساس تقاطع مدلولات هذا الجذر -دون الاعتبار اللازم بالمدلولات التكاملية. فمثلا(حرجم) أصله الحَرَج-"الشجر المجتمع الملتف"- عند ابن فارس (المقاييس)، ولا يزال أصلا معترفا به في كتاب "الأفعال الرباعية" (نانسي1981) لزيمليّ عطاء الله/عياش، بدون أيّ إشارة دلالية تبرّر المواقف التقليدية وباللجوء المعتاد إلى الزوائد.

(cf.Lt tableau des lettres ajoutées p.119) يأتي هذا التعليل

السائد خلافا لمدلولات (حَرْجَم) و(اَحْرَجَمَ): كدفع الإبل أو القوم إلى مأمن وقت

الغارة، وارتدادها بعضا على بعض (أنظروا اللسان)، وثانيا تحيّر المرء في شيء يريد فعله، ثم يُحجم عنه ويتمنّع. ومثلا آخر (دعلج) من الدَلَج والإدلاج (السير في الليل)، بمعنى "الذهاب والرجوع والتردد" عند ابن فارس أيضا، وحتى عطاء الله/عياش في قرننا هذا. لو اتبعت المذهب السائد في تحليل الألفاظ، لكننت أشرت إلى زيادة الميم في (حرجم) وزيادة العين في (دعلج)، ثم أعرضت عن الحقائق المتبقية، مقتنعا بأقوال الأسلاف والزملاء الأفاضل. إلا أنني أحصيت ضمن جدول مدلولات (دع ل ج) عشر قيم متنوّعة لا ينطبق معظمها في مفهوم الإسراء، ولا يتفق مع دلوج الماء والحليب من إناء إلى آخر، فقد أهملها اللغويون إطلاقا. بل هكذا يعتمدون تأويل كثير من الرباعي بفضل الزوائد-تلك الحروف الخالية من أية دلالة بأدقّ المعنى - وما يدعوهم إلى اختيار حرف ما عوضا عن حرف آخر هو المقارنة بين الرباعي والجذور الثلاثية القريبة منه شكلا ومضمونا، فأقربها يتخذ أصلا له بفضل الزيادة. عقب ذلك وحده لا قبل، نتعرّف على ماهية الحرف الزائد. وقتئذ شخصنا الضع Michel BARBOT –THEORIE DU NAHT (AKBAR(Tunis-I-Fevrier1996)

والعلّة، وهي الزائدة. ألم يحن بترها من جسم الكلمة؟

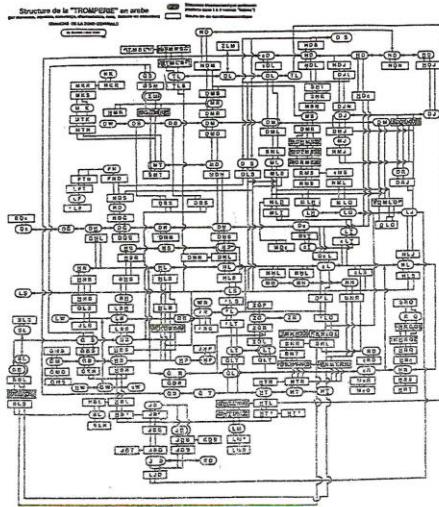
ثم إذا لم يرتضوا بأصل وحيد للرباعي المدروس، يلتجئون إلى النحت. فقال ابن فارس في أمر (خ ل ب س) إنّه منحوت من (خلب) و(خلس)، بينما ينحو عطاء الله/عياش منحى ابن منظر في اللسان، مصرّين كلّهم على أنّ السين فيه زائدة -أي أنّه أت من (خلب) فقط. لن ألحّ على تناقض هذين الموقفين، ولا على

ضيق مجال درسهـم؄ ولكن على ارتباط سبعة وعشرين جذراً على الأقلّ بجذر
(خلبس).

- عرض رسم 1 (المخادعة) -

REPRESENTATION PROVISORE DU CHAMP DE LA "TROMPERIE" en arabe littéral

(par mainmise, mensonge, dissimulation, ruse, flatterie ou séduction)



هذه صورة مؤقتة لحقل (المخادعة) أصبحت باطلة بدورها بعد تنقيب العامين الفائتين. لقد توسع الحقل إلى مئات الجذور الأخرى... إنّما الأهمّ في مسألة الرباعي أنّ تعيين الزوائد عاقبة ثانوية لمرحلة أوليّة تقديرية، وهي اختيار أصل ثلاثي من الجذور الممكنة تخمينها. وقد سبق لي أن نقدت مداخل هذا التعليل ومخارجه. إنّ مراجعة الجذور المزيدة-زعمًا- يؤدّينا حالا إلى استنتاج واحد: ليست الزوائد قادرة على أن تضيف دلالة تحدّد سماتها إلى مدلولات الجذور الثلاثية الأصلية المزعومة. كيف بإمكان حرف مزيد أن يخلق هذا القدر من الاختلاف الدلالي بين الثلاثي والرباعي، وكيف نتقبّل الافتراض السائر لدلالة حروف منعزلة؟ من هنا وجوب إقامة الدلالة على ترتيب العناصر اللفظية، لا على إقحام حروف نكر دلالتها، في هيكل جذور ثلاثية قد تمّ اختيارها بطريقة لا تخلو من النواقص المنهجية الفادحة- كما لاحظنا.

3. أمّا النحت من كلمات معيّنة، فلا يسلم القائلون به من الانتقادات المنهجية السابقة، إذ أنّ طريقة اللجوء إليه لتعليل بعض الرباعي مبنية على نفس المبدأ. أي البحث عن التقاطع الدلالي بين عدّة كلمات، من دون المراعاة المتوقّعة لجميع المدلولات المتواجدة. حتى أنّهم كثيرا ما يختلفون في تعليلاتهم: زيادة عند البعض، ثم نحت عند الآخرين، أو بالأكثر، تجميع التعليلات وتضييق التحقيق في آن واحد. يقول ابن فارس مثلا: "فمن المشتقّ المنحوت (الدلمص) و(الدملص): البراق. فالميم زائدة، وهو من الشيء الدليص"-بغير انتباه إلى شبكة العلاقات المتداخلة بين جذور (دملص) و(دمص) و(ملص)، و(ملص) و(ميس) من جهة،

و(دلمص) و(دلمز) و(دلص) و(طلس) و(لصف) الخ. ثم في باب (العين) ومن بين كلماته المؤلفة بغير ترتيب هجائي أو منطقي، يذكر صاحب المقاييس(العسَلَق)، متخذا من مدلولاته بينها الذئب والسراب اللذان توصلهما الفصحى في ثمانية جذور -مدلولا واحدا: الظليم: " ممكن أن يكون من السرعة وتكون القاف زائدة. ويكون من العسلان، ويمكن أن تكون العين زائدة، ويكون من السلق والتسلق. وكل ذلك جيد. "لقد ثابرت على تدوين أسماء الذئب وصفاته وتصرفه، كما درست لعبة أضواء الطبيعة بأسمائها في نظر القدماء. فيتضح لي أَنَّ (العَسَلَقَ) و(العُسَالِقَ)- و(العِسْلِقَ) - بمعنى الذئب والسراب -مترتبة أيضا على تتابع (عس) كما في (العاسل) و(العسوس) و(العسْعاس) و(العواس)-بمعنى الذئب، وفي (العسْقَل) و(العُسْقُول) و(العسْعاس)-بمعنى السراب. ليست العين في كلّمها زائدة، فكلّ ذلك جيد وربما أجود أذكر أنّه ينسب (العُسْقُول) للعسَق بزيادة، أمّا (العَسَلَقَ) بمعنى السبع الجرؤ على الصيد -، فنحنّه من (عسق) و(عَلِقَ) و(سَلَقَ)- أقرب إلى النحت الأكبر من تحليله السابق. على كلّ، لا يكفي العثور على حروف جذر رباعي موزعة في كلمتين حتى يكون هذا الرباعي منحوتا من الاثنين فحسب، ولا من غيرهما في الوقت نفسه. ألا يصح لديكم الآن عنوان النحت الأكبر؟

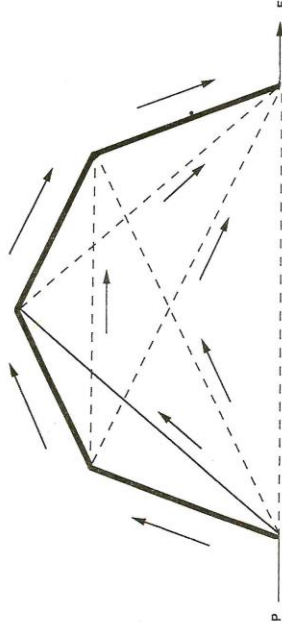
خلاصة لقولي، سن تطلّبات النظريات العلمية أن تُستخلص من الوقائع- جميع الوقائع- مهما كلّفنا استيعابها المنشود. على اللغويين أن يلمّوا بمختلف ملاحظاتهم الآتية الجزئية، فيتجنّبوا: 1-التحليلات المتفرقة القصيرة المدى. 2-

إهمال المعلومات الدلالية المتوافقة التي قد تناقض ما يؤكدونه، فتصبح تعميماتهم باطلة. إليّ، وإذا كانت غايتي في الأمر استقصاء معطيات اللغة الفصحى ، وتفهم ارتباطاتها بعلاج شامل لتعدد المعاني المحيرّ ولتدفّق المترادفات المشكّلة، ألزمت نفسي باستعراض الرصيد اللغوي بأسره. قد أمعنت النظر - بقدر المستطاع - في كلّ من المدلّولات المتشابهة، مستكشفا روابطها، بحثا عن انتحاءاتها الخفيّة وميولاتها الدفينة، لعلني أطلّع على قوانين توظيفها في أداء الكلام وفي تلقيّه، فأفهمها قبل انصرام أجلي. لا يسعني أن أحدّثكم عن الخطوات التي تقدّمت بها صوب هدفي المرتجي. فالإكم الآن المختصر المفيد لنظرية النحت الأكبر، المستمّدة من عشرات الألوف من الأدلّة البيّنة، رجاء أن لا تؤاخذوني على اختصاري إيّاها إلى أقصى حدّ ممكن: الأدوات المنهجية، ثم المسلّمات الأولية والمفاهيم العملية، على أساس بضعة أمثلة.

- عرض رسم 2 (الخزانة) -

MODELE DE REPRESENTATION
DES RACINES ARABES

mb 1993



لقد صمّمت منهجية مبسّطة لتفكيك مركّبات الكلمات وجذورها، أعني رسماً بيانياً سمّيته الأنموذج البلّوري (Modèle du CRISTAL) الذي يشبه كثيرا خيمة المراسم في المملكة لمغربية- (الخزانة). يطلعنا الرسم إطلاعا فوريا على كافّة العلاقات الاحتمالية بين الحروف الجذرية، المشار إليها عند كلّ رأس من رؤوس المضلع الخمسة. إنّ الخطّ المتّصل يدلّ على علاقة الاتصال بين صامتتين، والخطّ المنقط على علاقة الاتّصال المخلف بينهما. في الإجمال، ثلاث علاقات للثلاثي، وعشر للرابعي، وخمس وعشرون للرابعي المزيد بمورفيم واحد كمثل (افعلّل)، حيث الرأس الثالث (الأعلى) مخصّص للنون التي سنرى فيما بعد - إن شاء الله - أنّها تتناوب مرارا مع النون الجذرية، تناوبا مؤكّدا في أكثر من عشرين في المئة من الألفاظ المبنية على وزن (افْعَلَّلَ) و(فَعْلَلَّ). الأرجح أنّ هناك أثارا ثمينة لأقدم مرحلة من مراحل نشأة النظام السامي، وهي تفريق مركّبات الكلمة وتوزيع وظائفها التكاملية بين الجذر والصيغة. شيء أشدّ خطورةً، قد تحقّق في اللغات السامية منذ القدم، ولا يزال متطوّرا في اللغات الحامية كالبربرية في الغرب، واللغات الكوشية في الصومال والحبشة. وطبعاً، لا أعدّ في صيغة (افْعَلَّلَ)، ستّة أحرف كالنحاة، إذ أنّ الألف فيه ليست مورفيما ولا حرفا جذرياً، ووظيفتها كتابية فقط، ولا تؤدي أية دلالة. فلكلمة الزيادة هنا مدلول ثالث، وهو إضافة حرف أجوف، لا حرف صامت بل أخرس...

إن اتّجاه الأسهم يشير إلى أنّ التتابع الزمني للصوامت الجذرية له وظيفة تمييزية. قد أثبتتها التجارب، كما نجد برهاناً متيناً على ذلك في عدّة تتابعات ثنائية

كمثل (لز) و(لج) و(كف) إلخ: فلكلّ منها دلالة مشهودة في العديد من الجداول
الجزرية، وتلك الدلالة تعكس عند قلب تتابع الصامتين، كما نرى في (زل) و(حل)
و(فك) إلخ.

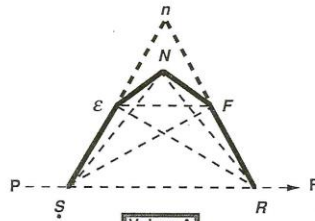
- عرض رسمي 3 و 4 (صغير) و (أفعال القفز) -

√ $\$ \epsilon F R$

mb - Janvier 1996

$\$acFaRa$: A effrayer qn au point de le faire fuir - B être tortu, de travers (cou)
 $ia\$acFaRa$: A se disperser et fuir (bêtes apeurées); être effrayé, saisi de peur
 $i\$canFaRa$: se disperser par frayeur - B être tortu, de travers (cou) -

Valeur A : effrayer au point de faire fuir de tous côtés
 Valeur B : avoir le cou de travers



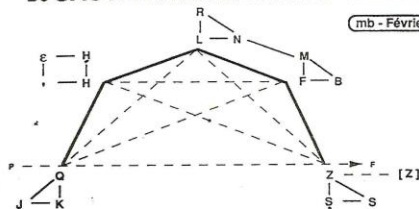
Valeur A

$\$we$ disperser; effrayer - $\$e\$e$ disperser; Il se disperser, être dispersé
 $\$ueiFa$ être saisi d'un frisson de peur (de froid, etc.)
 [Cf. ϵNF violence; ($\epsilon uNFat$ répugnance)] - $\epsilon uFRat$ frisson de froid
 NFR fuir en se dispersant (troupe d'hommes); Il effaroucher et faire fuir
 FRR fuir - [Cf. FRQ , $FRQ\epsilon$, etc. séparation, dispersion] -

Valeur B

$\$aciRa$ avoir la bouche / le visage / un côté du visage de travers; V idem
 [Cf. $\$ew$, $\$eL$, $\$eN$ avoir le cou mince et/ou la tête petite
 $mu\epsilon taNif$ chemin qui n'est pas droit, qui fait des courbes]

mb - Février 1995


$$Q_{\varepsilon} FZ \leq QFZ + \varepsilon \alpha \eta \text{ infixé}$$

analyse par CORRELATIONS SEQUENTIELLES : MB (1993-...)
VIII - QHZ - QHZ - QLZ - QLŞ - QMŞ - Qεw - QFZ - QFŞ v - QHMZ
/ QWZ v - HMZ [rem. QZe v, QZL, HQZ, NQZ, RQZ, RQŞ, RKZ,
JHZ - Jammâz - KLZ XI - KLS II - HNBS - HBB / HBHB - 'BZ -
v, XI - [ZRF, ZHF] - NFZ - FZZ - NZZ / NZW -

nasser / rassembler / prendre (du bout des doigts...) :

Dessais : QWQ / QEQB / QMM / QMZ / QFS [rem. OFS, etc.]
KRFS / KWL / KLL / JL / JM... - KLZ - KNZ - KNS - KRS / vln - KwlM
KB / KBK / KBw - Kwz - KmZ - Kmb - KNB - KRKR - KFF X - HLZ
LLF - LMM / LMLM - FwZ "se saisir de" - D'ou **S**asseoir à
etons : Qew / QEFZ i, iii (incluant NFZi), QRFS, HFZ V, viii, qfz x -
 R / wTL / WIn "amasser (richesses)" vs WTB "sauft, assaut; s'asseoir"
 / TBIB, TB "rassembler" vs WM "idem" vs WTM "idem"; iii "sauteur"
 / idem - "se faire" vs apyres "sur trois points" vs TMM, IBER-
 / idem i, i.-D'où également **A**ttacher : QFS / QFS - HFS - KRB - KRBS -
 etc.. Même corrélation dans NIT "attacher; sauter" et dffTresser,
 [cf. DBR "sautiller les pieds liés"; DFF "se ruier sur; rassembler"; TFF,
 R TMR "sauter"].-

juer. egiter / culbute : QHM II, V - QHLZ II - QLL / QLQL [rem. QLO] - J - J - JLJL [rem. JLJ] - QFF - QMM VII - QMS - QMS (oetus) - KRKR II - KRS II
 / KBK / KBw - 'LB - 'LZ - 'FZ - 'HLHL - 'HMZ - 'HZZ / 'HZZ - 'HRZ - 'HBB /
 'HS - eRS [rem. DeS] (b) : eALiZA - 'aLiZA - 'aLiSA - LSLS - LZLZ [rem. LZL] -
 - RMZ - MZM (dés) / MZMZ / wMZ - wFZ V - [Cf. dial. marocain oriental
 'clitoris vs dial. syro-libanais DaRRâB 'idem ']. - Cf. QwM, QNN XI 'se
 jr'. QEL XI 'se tenir droit en selle' ...

ثم هنالك تشاكل بارز في عدّة جذور رباعية يقال إنّها مزيدة، بين توالي تتابعين ثنائيين من جهة، وبين توالي الأحداث المعبّر عنها من جهة أخرى. أذكر مثلاً (اضمحل)، ضمّ وحلّ، و(صعفر)، صع وقّر، و(اقعفر)، قع وقّر بينما يؤكد عطاء الله/عياش أنّ (صعفر) آت من (صعف) بزيادة الراء، و(قعفر) من (قفز) بزيادة العين. تدلّ أبحاثي على كثافة التشابك بين الجدرين المذكورين وبين عشرات الجذور الشقيقة حيث الراء والعين حروف جذرية، لا زوائد أبداً: من بينها (صعر) و(عفر) و(نفر) و(نفرج) و(عفز) الخ، نلاحظ في بعض الثلاثي نفس التركيب الزمني، وأذكر مثلاً (جأل)، جاء وآل وحتى جول، أو (اصحّام)، صح +حمّ، أو (سرط)، ساروراط.

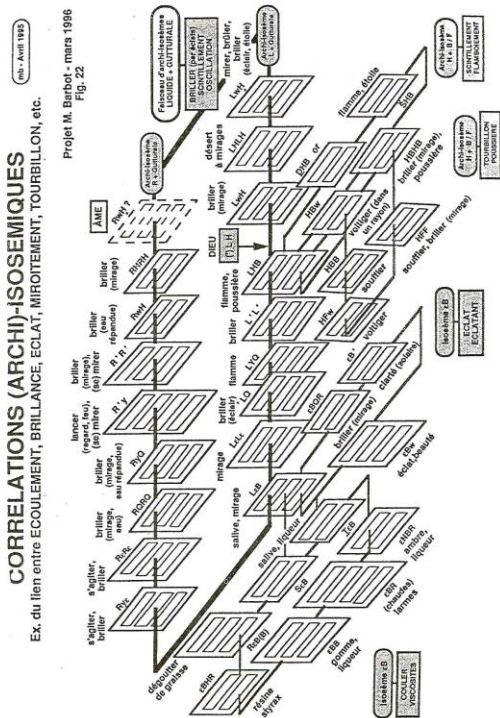
من أجل استطلاع جميع الارتباطات الممكنة بين الكلمات، أدمجت مفهوم الإبدال في خطة التحايل، دون أن أدخل في خصامات المدارس القديمة حول شروطه، لا شك أنّ ملاحظات اللغويين والنحاة كانت جزئية – من كل واد عصاً، رغماً عن حدسهم الرائع وفصاحتهم السليمة. إنّنا مراراً لسنا على بينة من صحّة حكم لهم في تلك القضية، إذ أنّه مقتصر على الصعيد اللفظي، وحلّ النزاع هو اتفاق مخارج الأصوات، لا وظائف ما يخرج منها. أين هو المعيار الثابت لتفضيل إحدى اللفظتين على الثانية "المبدلة منها"، وأين الدلائل؟ ما موقع الإبدالات في نظام اللغة؟ وما تأثيرها على إحداث الدلالات؟ إنّنا إذّاك أمام عقدة معقّدة تقف عندها العقول وتبقى حيارى. نفتقر إلى كشف القواعد الواقعية، عسى أن تكون قوانين، بحيث يحقّ أن نرفض فكرة الفوضى في الرصيد اللغوي، وإن شاهدنا

عوامل الصدف في تكوين الحقائق. إلا أن تأويلها بتعامل الوجوب والصدفة مخرج للعلماء الماديين، ينفذون إليه تجنباً من طرح الأسئلة الهامة للإنسان، والإقرار بأهداف الدنيا وبمصير الكائنات. فلنبحث أولاً عما يخضع لتناسق العقلية وتوافق النزاعات، قبل أي استسلام عاجل لقبول فاعلية العرض في أحكام اللغة.

لذلك كله، ينبغي الاستطلاع جذراً بعد جذر، لفظةً بعد لفظة، بل مدلولاً بعد مدلول. وقد انبرى عبد ربّه لهذه العملية الشاقة (والشاقة) طول العمر. أنجع الطرق في هذا الصدد هو الاعتبار الدقيق المستمر لا بالحرف الجذري فقط، بل وأيضاً بالمرتبة الصوتية التي ينتمي إليها، كالشفهية أو الذقية أو الحلقية الخ. الجدير بالذكر أن هذا المنهج سريعاً ما يرفع الستار عن تسلسل القيم الدلالية والمفاهيم بعضها ببعض. كلما نتقل من قيمة إلى أخرى على متن الألفاظ المتواصلة، كلما نلحظ انسجام تحولات اللفظ والمعنى. في تقريب الأصوات وتوصيل الفحوي، انتحاء دلالي مقصود. مغزاه بناء المفاهيم وتدعيم علاقاتها بأدوات جهاز اللغة - بما فيها الإبدال. هاهي خطوطه العريضة: إن سعة الإبدال - أي كثافة الإبدالات في سلسلة كلمات مترابطة - تختلف من سلسلة إلى أخرى، والأسباب عديدة. من بينها التباعد المعقول بين المفاهيم المعنوية وما ينجم عنه من لزوم التباين بين الأشكال اللفظية المتجانسة. للإبدال إذاً وظيفة تمييزية عكس ما كان يظهر: على الصعيد الدلالي فيما يخص إبدال حرف جذري، وعلى الصعيد السيميائي فيما يخص اختلاف سعة الإبدال ما بين السلاسل. وهذا سرّ من أسرار اللغة قد شرحتة. النظرية: يتيح للناطق والسامع أن يشعرا بالفرق بين الدلالات المتشابهة. ومثلاً بين

ما يرمز إلى الرجف والتخوّف في (لع/رع) وكلّ ما يشير إلى اللمعان في مجموع
تتابعات (ذلقية+حلقية) والإبدال فيها أو التناوب الصوتي أوسع بكثير.

— عرض رسم 5 (Scintillement, Eclat) —

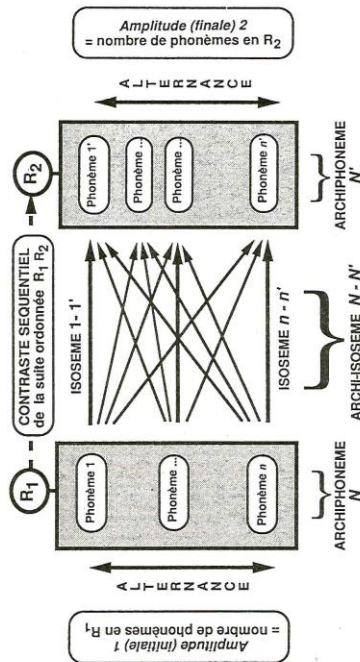


وسائل التمييز في اللغة العربية أقوى من وسائله في الأصوات الأوروبية، إذ أنّ الإبدال يصيب الحرف الجذري مرتين: كلفظ وكقسم من قسمي التتابع الثنائي، ومرتين في إطار التتابعات: إذا أبدلت عين الكلمة مثلاً، قد تأثّر أيّ تحوّل (فع) وكذا (عل). فتصوّروا تزايد العلاقات الإحتمالية الجديدة للصواتم المبدّلة، يعني توفّر المقدورات التعبيرية لألفاظ اللغة. بالفعل، مواقع الإبدال علامات نيرة يهتدي بها أهل الضاد إلى معرفة تفاصيل الأشياء. فكلّ منها ملتقى الدروب الجاهزة، بل ومنطلق للقريحة والإبداع. لقد اقصر عن وصفها الصحيح كلّ من اكتفى بالجانب اللفظي للإبدال، فاهتمّ في ترتيب الكلمات بالتي هي أفصح.

- عرض رسم 6 (التحليل التعانمي) -

STRUCTURE THEORIQUE
DES LIAISONS INTERRADICALES
fondant
l'ANALYSE ISOSEMIQUE

mtb - Avril 1995



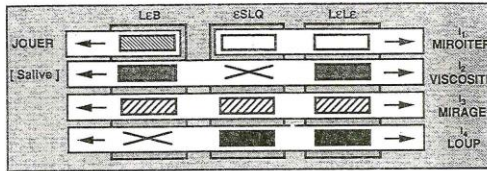
عرض رسم (6) مكرر

ANALYSE ISOSEMIQUE des structures conceptuelles codifiées par le lexique arabe

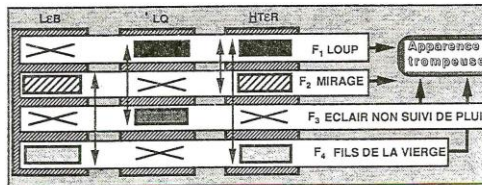
mb - Avril 1995

Fondée sur la Théorie du *Nahî 'akbar* - (MB 1994)

1° - EXPLOITATION DES INDICES DE LA POLYSEMIE RADICALE
& ETABLISSEMENT DES CORRELATIONS SEQUENTIELLES (isosèmes I_n)



2° - RECHERCHE DES ISOMORPHISMES (croisements identiques d'isosèmes)
& DETERMINATION DES STRUCTURES CONCEPTUELLES
(relations entre isosèmes séquentiels I_n et entre familles d'isosèmes F_n)



3° - STRUCTURATION DES CHAMPS CONCEPTUELS
& RECHERCHE DE LEURS INTERACTIONS AU NIVEAU LEXICAL

Ex. Structuration progressive du champ de la TROMPERIE

ههنا أبسط الرسوم البيانية الخاصة بالطابع الشكلي للنظرية. اقترح المصطلحات الآتية: قياساً على خطوط تساوي الحرارة أو الضغط الجوي الخ، وبناءً على وزن (تفاعل) ومدلوله - التبادل، التقاسم - من جهة، وعلى معنم وتحليل معنمي (Sème et analyse sémique) قد سميت الترابط بين ألفاظ مبنية على التابع المتصل أو المنفصل بين صامتين، الذي يحوي دلالة مشتركة: التعانم، وطريقة التحليل على هذا المبدأ: (L'isosémie et l'analyse isosémique) التحليل التعانمي. أمّا سلسلة الألفاظ المترابطة، فهي السلسلة التعانمية (L'isosème) ومجموعة السلاسل المتواصلة بمدلول مشترك وبصوامت "مبدلة" بعضها من بعض: الحزمة التعانمية (le faisceau isosémique).

ومن دواعي ابتكاري هذه المصطلحات، وجود كلمة (عَنَم) الفصيحة، الدالة على ما يعلّق به العنبُ على الوتد، أو العطفة.

لقد برهن هذا المنهج على أنّه تعبير شامل صادق لإشكالية تعدّد المعاني بما فيها الأضداد. إحصاء تلك السلاسل وقيد تشابكها شيء مرغوب فيه للغاية، إذ أنها هي الصورة الماثورة للارتباطات المفهومية الأصلية. إن التحقيقات جارية على أحسن ما يرام في عدّة حقول دلالية، (كالعناصر الأولية المعروفة: الماء والأرض والهواء والنور والنار) مثلاً. تُعدّ فيها السلاسل التعانمية بالألوف، ومختلف العلاقات الملحوظة متوفّرة التعليمات الحضارية. المهمّ الآن هو ارتباط كلّ مدلول لفظة بمدلولات عدّة سلاسل تعانمية، : الأمر الذي يجعل هذا المدلول على ملتقى دلالات متداخلة. فإذا كان النحت الصغير ناتجاً من تكثيف كلمتين في كلمة واحدة

- (برمائي) مثلاً-، ثم النحت الكبير إيجازاً لعبارة كاملة، مثل (حمدل)، فالنحت الأكبر هو المبدأ الأساسي لتركيب أجزاء جميع الكلمات - شكلاً ومضموناً - على مستوى الطبقات العميقة من نظام اللغة، حيث أنّ تفاعل السلاسل التعانمية يحدث الدلالة ويؤثر فيها عند أداء الكلام وتلقيه. فالسبب الوحيد لتفهّم تكوين المعنى هو تفكيك العناصر التي تتركّب في جميع المدلولات المألوفة. أصبح ذلك ممكناً بل سهلاً بالأدوات الشكلانية المقترحة. وهكذا سنكشف - بإذن الله - التشاكلات الخطيرة بين المفاهيم الأصلية، أي البنى العميقة للتفكير والتعبير. وقد يفضي بنا المنهج إلى تلمّس الطبوع الشعرية للغة من جهة. وإلى إدراك اللاشعور الجماعي من جهة أخرى.

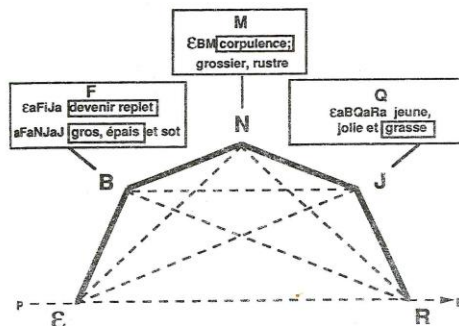
حتى شواذّ اللغة - أو بالأحرى ما يسمّى "الشواذّ" - مندمجة في صميم نظامها.

- عرض رسم 7 (عبدجبر) -

εaBaNJaR

mb 1993

εaBaNJaR : gros, épais (vocalle isolé)



εBB remplissage; gonflement
 εBN corpulence
 BJ- grosseur; enflure
 BJR : gros ventre; hernie ombilicale
 εJR : gros et ventru; engraisser; protubérance

[Cf. εFNS épais, touffu (barbe, poils)]

CONCLUSION :

Un terme isolé appartenant à un paradigme séquentiel peut lui-même être à l'intersection d'autres paradigmes

فكلمة (عبنجر) مثلاً، لا أصل لها و لا جذر، وإن كان وزنها (فعلنل). ومع ذلك، فهي مرتبطة بعشرات الجذور شكلاً ومضموناً، بفضل النحت الأكبر.

- عرض رسم 8(حلكم)-

فكلمة (عبنجر) مثلاً، لا أصل لها ولا جذر، وإن كان وزنها (فعلنل). ومع ذلك، فهي مرتبطة بعشرات الجذور شكلاً ومضموناً، بفضل النحت الأكبر.

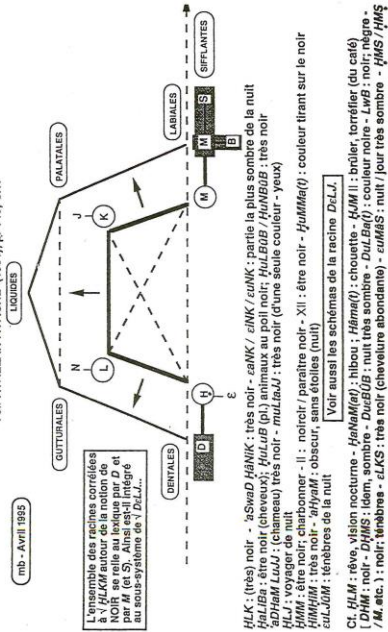
- عرض رسم 8 (حکم) -

RADICALITE DE PSEUDO-"AUGMENTS" (zawâ'id) - 2 -

Ex. de la "lettre ajoutée" $m\hat{m}$ de $\sqrt{HLKM}$ ($<\sqrt{HLK+m}$ selon la tradition arabe / orientaliste)

Voix ATALLAH-AYACHE (1981), p. 146, s.v.

mb - Avril 1995



وبالطبع، إذا رجعنا إلى (حلكم)، يكفينا تطبيق الأنموذج البلّوري وإدخال حروف جذرها في لمراتب الصوتمية المناسبة، ثم ربطها بسلاسل تعانمية قد سبق درسها - ومضمونها السواد والعنمة - ك(مس)، حتى نكتشف ارتباط (حلكم) بعدّة جذور حيث الميم جذرية بلا شكّ، واذكر (حمّ) و(محمم). فلا يتركب(حلكم) من (حلك) + ميم زائدة....

ثم بالطريقة نفسها، تُثبت اندماج (دعلج) في نظام اللغة وفقًا لقواعد النحت الأكبر. لو أمكنني الوقت، لكنني دلتكم على الرسوم الخاصة بكل من قيمة العشر المختلفة. في كل رسم لائحة كاملة من الجذور المرتبطة بـ (دعلج) شكلًا ومضمونًا. لنكتف الآن بـ (السواد والعتمة)، بسبب الاتصال المباشر بين (حكّم) و (دعلج) من حيث هذه القيمة. فيما يخصّ الذئب، لا بدّ من النظر أيضًا في رسم آخر عرضتُ فيه قيمة الذهاب والرجوع. لقد بدأنا نفهم الصلة بينا الذئب (هنا الدعلج) والعتمة (وقد ذكرت تركيبات العين والسين للتعبير عنها)، بل وأيضًا حركات الذئب ودورانه حول الفرائس (الدعلجة)، الذي شبّهه الأعراب بجولان الغزاة حول العدو - الكرّ والفرّ - ومنه (كرّ دعلجًا). أليس للذئب وللإنسان معًا اسم واحد: (المرء)؟!...

يدلّنا هذا الرسم على توزيع قيم (دعلج) العشر وعلى كثرة الجذور المرتبطة بكلّ منها، ولا ترون الآن إلّا تلك التي تحوي حرفاً حلقياً في نفس السياق - أي بعد الدال، أو قبل حرف من الحروف الذلقية. كلّ ذلك بها جذرية، وليست حروفاً جوفاء.

وفي الختام، إذا قارناً المعطيات بعد ترقيمها، تميّزت لنا أدوار السلاسل التعانمية في تعزيز كلّ من القيم العشر. وإنّ لحزمة (علج) مثلاً دوراً أهمّ بكثير من دور (دعلج) الذي يقال عنه إنّّه أصل (دعلج). لن أزعج بدوري أن (دعلج) مزيد من (علج) بزيادة الدال....

إنّ دلالة التتابعات الثنائية لا تعني أنّها كانت في القدم جذوراً مستقلة، كما يؤكدّه العديد من اللغويين في الغرب، استناداً إلى مفهوم الزيادة، ونظرية النمو والارتقاء. فيقولون إنّ الرصيد الثنائي قد توسّع في الماضي - تلبية للحاجة - بفضل الزوائد، متحوّلاً إلى الثلاثي المعروف، ثم جاءته موجة توسّعية جديدة، وأحدثت الرباعي من نفس الوسائل. أعترض على هذا التدرّج التاريخي اعتراضاً كلياً للأسباب السالفة الذكر. تنقصنا على الأقلّ معرفة الصيغ الثنائية الموافقة لتلك الجذور الثنائية المزعومة. ثم بالأحرى، إذا تأملنا جذراً معيّنًا، يكفينا جمع الكلمات التي تقاسمه هذا التقاطع أو ذاك، حتّى نتأكّد من أنّ كلمات الجدول الجذري مرتبطة بسلاسل متعدّدة مع كلمات جداول جذرية أخرى. نلتمس هنا حقيقة تلك الشبكة السيميائية التي تكوّنت منها لغتنا العربية من قدم العصور. وبما أنّه يستحيل علينا تأريخ الوقائع وكذا تدرّج ارتباطاتها، لعدم الوثائق المسجّلة المحتاج

إليها، تبقى لنا مهمّة إيجابية عظيمة، وهي الإحصاء الكامل لتلك العناصر الدلالية النّفيسة، ثم فحص علاقاتها السّمائية التي ترسّخت في أطوائها حضارة العرب القدماء بكلّ انطباعاتهم حول الكون. أطلّاهم تحت أبصارنا، تراثا لا يفنى من الحروف والأصوات. نسمعها يوميّا، لننصتُ إليها. فنبرات ألفاظهم في الحناجر كأنّها أنفاسهم الدافئة. عجب ما تضره الفصحى عبر الأزمنة والدهور. في أعماقها حرارة دماء تسير لأجل الجميع. كلّ لفظة تنبض بحياتها وحياة غيرها. تفوح بروح تنادي أرواح شقيقاتها، وكأنّها أصداء ما أحسّ به الأجداد ما تأملوه. وإن كانت اللغة والنصوص مرآة آمنة لقيم الأجيال الغابرة، فلننظر من خلالها إلى صور جليلة قد امّحت من أعين البشر. أرقى الرؤى وراء المرايا. فإذا ما نزعنا الظلام عن معالم الأولين، نرجعهم إلى الوجود، بآمالهم ومخاوفهم ومخايلهم وأهوائهم، بل وتوقعهم إلى العلا في السراء والضراء. فها هي جذور الأصالة الحقّة. أليس إحصاء ما اختفى بين ضلوع الكلمات والتعابير من مقومات العروبة والإسلام الخالدة، أشوق إلينا بل أعزّ من جدال عقيم في أسبقية الفعل على المصدر، أو المصدر على الفعل، إلى غير ذلك من التعليقات الواهية التي لا دعم لها ولا طائل في العصر المعاصر. وحقّا، في اللغة الفصحى - لغة التنزيل والهداية، لغة الشعر والآداب، لغة العلوم الحكيمة والفنون المشروعة - كنوز ينتظرنا كشفها واستغلالها. وهي نعمة للعرب وللبشر أجمعين. يا ليتنا أعزّائي الزملاء، نستلهم لغة الضاد ذاتها، فلعلّنا بسراجها المضيء نستتير. ندعوه تعالى أن يعلمنا ما لم نعلم. إنّه وليّ التوفيق وبه نستعين.